المحور التاسع
حقيقة الانتصار
في ضوء القرآن الكريم



الجِهادُ في الإسلامِ وَحَقيقةُ الانتصار فِيه

الباحث

د. زكريا عبد الرزاق المصري





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمـــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فهذا بحث مقدم إلى الملتقى القرآني الذي تقيمه وزارة الدفاع والطيران في الرياض في المملكة العربية السعودية غرة ربيع الثاني سنة ١٤٢٨هـ تحت عنوان "العسكرية الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ، المصاحب لجائزة الأمير سلطان بن عبد العزيز لحفظ القرآن الكريم للعسكريين .

فقد كتبت هذا البحث في المحور التاسع من محاور الملتقى، الذي هو "حقيقة الانتصار في ضوء القرآن الكريم" وجعلت عنوان بحثي هذا "الجهاد في الإسلام، وحقيقة الانتصار فيه"، وجاء البحث في فصلين:

الفصل الأول : معنى الجهاد في الإسلام وأنواعه .

وتحت هذا الفصل العناوين التالية :

- تعريف الجهاد .
- أنواع الجهاد .
- طبيعة الهجوم والدفاع عن دين الأمة فيها والأتباع .
- غاية الجهاد في الإسلام .
- التوكل على الله في مجابهة أعداء الله .

الفصل الثاني : حقيقة الانتصار في الإسلام ، وآدابه .

وتحت هذا الفصل العناوين التالية :

- مفهوم الانتصار والهزيمة في المنظور الإسلامي .
- النصر للمؤمنين في كل حال وحين .
- رعاية آداب الجهاد الإسلامي انتصارٌ على الخصم في المفهوم القرآني .
- القتال في الإسلام عملية جراحية اضطرارية، ذات طابع إنساني .

  المثال الأول: فتح مكة ، وفتح بيت المقدس .

  المثال الثاني: فتح القسطنطينية .
- القتال عند الآخرين عملية انتقامية عدوانية ذات طابع إجرامي غرائزي .

  المثال الأول: الغزو الصليبي والاحتلال الإسرائيلي لبيت المقدس .

  المثال الثاني: الغزو التتري للعالم الإسلامي وعاصمته بغداد .

مع بيان جملة من ممارساتهم العدوانية المعاصرة ضد العالم الإسلامي .



والغاية من هذا البحث هي بيان الصورة الخقيقية لتعاليم الإسلام في جانب القتال وممارسات الآخرين فيه، قديماً وحديثاً، كي ينكشف زيف الشعارات المطروحة اليوم التي يرفعونها ضد الإسلام وأهله، في محاولة منهم لإطفاء نوره وتنفير الناس عنه خوفاً من دخولهم في هذا الدين، لاسيما وأن تقدم هذا العصر وتطور العلم فيه، لا يزيـــد الإسلام إلا قوة، لأنه يأتي منسجماً مع الإسلام في تعاليمه وأحكامه، كما قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

الفصل الأول

معنى الجهاد في الإسلام، وأنواعه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تعريف الجهاد:

الجهاد في اللغة: مصدر مشتق من الفعل جاهد، يجاهد، مجاهدة وجهاداً. فهو مجاهد إذا بذل وسعه في تحصيل الشيء[1].

وفي المعنى الإصطلاحي هو بذ ل الوسع والطاقة، في محاربة العدو والنيل منه[2].

والدليل على مشروعيته من الكتاب، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

والدليل على مشروعيته من السنة، قوله ﷺ:**"لاهجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونيّة، وإذا استنفرتم فانفـروا"**،[3]**"رأس هذا الأمر الإسلام، ومن أسـلم سلم، وعموده الصـلاة، وذروة سنـامه الجهاد في سبيـل الله "** ،[4] **" من مات ولم يغزُ، ولم يحدّث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق "** [5].

أنواع الجهاد: يشمل الجهاد كل جهد مبذول لتحقيق تلك الغاية ، سواء كان مالياً أو بدنياً أو ذهنياً، فقد قـال ﷺ: "**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**"[6]، ويدخل في ذلك بذل المال على جهة الزكاة أو الصدقة، لتمكين أهل المقدرة على مجاهدة العدو بالبيان القولي، من المحطات الإذاعية

---

[1]- انظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص٢٠٨ .

[2]- نفس المصدر .

[3]- رواه البخاري ومسلم عن عائشة مرفوعاً ، جمع الفوائد ج٢ ص١٧ كتاب الجهاد . رقم الحديث ٦١٥١ .

[4]- رواه الطبراني عن معاذ بن جبل مرفوعاً ، فيض القدير ج٤ ص٤ رقم الحديث ٤٣٧٣ .

[5]- رواه مسلم وأبو داوود والنسائي عن أبي هريرة مرفوعاً ، جمع الفوائد ج٢ ص١٧ كتاب الجهاد . رقم الحديث ٦١٥٢ .

[6]- رواه أحمد وأبو داوود والنسائي والحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي، انظر فيض القدير ج٣ ص٣٤٤ رقم الحديث ٣٥٧٨ .



والتلفزيونية، الأرضية منها والفضائية، وفي وسائل الإعلام المقروءة أيضاً من كتب وصحف ومجلات وجرائد، توضح الحقيقة للرأي العام، وتضع مواجهة العدو في نصابها الصحيح، ولتمكين أهل القدرة أيضاً من مجاهدة العدو بالقوة العسكرية على اختلافها، فردية كانت أو جماعية، برية كانت أو بحرية أو جوية، للمشاركة في رد عدوانه ومنع تماديه، كما قال تــعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ويتم ذلك بالوسائل والأساليب المتاحة، المشار إليها في قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. لاستخدامها في حماية الدعوة والأمة في حالة الدفاع أو الهجوم.

طبيعة الهجوم والدفاع، عن دين الأمة فيها والأتباع:

لايخلو حال المسلمين مع الآخرين الذين يحاربونهم في الدين من إحدى حالتين، الهجوم أو الدفاع .

الحالة الأولى: أما الهجوم على بلاد الكافرين الذين يرفضون الدعوة ويحاربونها، فلا يكون من حيث الأصل إلاّ من خلال خليفة المسلمين في الأمة، الذي له الحق، بل وعليه واجب استخدام القوة العسكرية لإزاحة زعماء الكفر عن السلطة في شعوبهم، عند القدرة على ذلك، الذين يحاربون الدعوة ويمنعونها من الوصول إلى الناس عندهم، حفاظاً على قواعدهم الشعبية ومصالحهم المادية والوجاهية، لتختار شعوبهم بعد ذلك بكامل حريتها الدخول في الإسلام أو عدمه ، ويسمى هذا في العرف الشرعي جهاداً في سبيل الله تعالى.

ولا يلجأ المسلمون إلى استخدام القوة، إلا إذا أوصدت في وجوههم أبواب الدعوة في أوساط الأمم والشعوب الأخرى، لإيصال كلمة الله تعالى إليهم، لتخليصهم من المرض العقائدي والأخلاقي والسلوكي ، الذي يحافظ زعماؤهم على بقائهم فيه، وتحويلهم عنه إلى الصحة في السلوك والمعتقد والأخلاق، الذي يجب أن يكونوا عليه، مما نزل به الوحي الإلهي، كما لا يلجأ الطبيب لإجراء العملية الجراحية للمريض لتخليصه من أسباب المرض الذي هو فيه، إلا إذا تعذّرت المعالجة بالأدوية والعقاقير الطبية، وكما لو حال أولياء المريض دون السماح بمعالجته، لاستفادتهم من هذه الحالة التي هو عليها، سقطت ولايتهم عليه وتم إزاحتهم عنه، ليختار ما يريد بعد ذلك.

والدليل على ذلك : أن الله تعالى قد أمر المؤمنين بالجهاد، فقال: ﴿ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٢]. ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾ [الحج: ٧٨]، ثم يعطى للناس بعد فتح البلاد وإسقاط الأنظمة المحاربة لكلمة الله تعالى فيها، حرية اختيار الدين الذي يريدون، كما قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى



ٱلدِّينِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦][1]، وكما فعل النـــبي ﷺ في مكة المكرمة، حيث أسقط نظام حكم دولة المشركين فيها، ثم قال للناس: اذهبوا فأنتم الطلقاء. فبادروا إلى الدخول في الإسلام مسارعين، لأنهم وقفوا على حقيقة هذا الدين وسماحته، وانسجامه مع فطرتهم، حين ابتعدوا عن الحملات التضليلية التي كان يمارسها زعماء المشركين ضده في مكة والجزيرة، كمـــا قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر: ١-٣].

وقد أخبر الله تعالى عن جزاء هذا الجهاد عنده يوم القيامة، فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١١١]. وفي الحديث قال ﷺ: **"إن في الجنة مئة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض"** [2].

الحالة الثانية: وأما الدفاع عن بلاد الأمة، فيسمى جهاداً أيضاً ضد عدوان الآخرين عليها بالقوة العسكرية، فهو واجب شرعي، وقد يستدعي الدفاع عنها أحيانا معاملة المعتدين بالمثل في صورة القتل والجرح، والإتلاف لأموالهم، وتدمير مؤسساتهم على أرضهم أو في أرض المسلمين، لكف عدوانهم ومنع تماديهم، وقد قال تعـــالى: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ويكون الإشتراك في صد عدوانهم عن البلد المحتل حق لكل مسلم، بغض النظر عن بلده وعرقه ولغته، لأن المسلمين أمة واحدة، فالعدوان على بلد من بلاد الأمة عدوان على جميعها، كما أن العدوان على عضو من أعضاء الجسد ، عدوان على الجسد كله .

والدليل على ذلك: قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال ﷺ: **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد**

[1]- انظر تهذيب سيرة ابن هشام ، عبد السلام هارون ، ص ٢٥٨ في فتح مكة .

[2]- رواه البخاري ، ج٩ ص ١٥٣ كتاب التوحيد ، باب " وكان عرشه على الماء "



بالسهر والحمى" [١]، وقال في التسوية بينهم في عصمة الدم، وفي موقفهم من المعتدين عليهم، وفي حماية بعضهم حرمة بعض: "**المسلمون تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم** "[٢] وقال أيضاً "**المسلم أخو المسلم، لايظلمه ولايسلمه**" [٣]، وفي رواية "**ولا يخذله**" [٤] أي لا يظلمه بنفسه ولا يسلمه لأعدائه، ولا يتخلى عنه عندما يحتاج إليه.

وقد قال ﷺ في الحض على الدفاع عن النفس والأهل والأمة، والمال والأرض والعرض، وعن جزاء ذلك عند الله تعالى: "**من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد**" [٥] وفي رواية "**ومن قتل دون مظلمته فهو شهيد**" [٦] وقال ﷺ في أجر الشهيد " **للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له عند أول دفعة – من دمه – ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**" [٧] .

غاية الجهاد في الإسلام:

فالجهاد في الإسلام، هجومياً كان أو دفاعياً، إنما يهدف إلى تحقيق السلام بين الناس، **أما في حال الهجوم،** فلأن المراد منه إزالة العوائق أمام وصول كلمة الله تعالى إلى عباده، لينعموا في ظلاله بالأمن على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم في الدنيا، وبالفوز بالجنة ونعيمها في الآخرة، **وأما في حال الدفاع** فلأن المراد منه وقف عدوان المعتدي، والحيلولة دون توسيع دائرة عدوانه، فإن طبيعة المعتدي عدوانية حيوانية، أشبه بطبيعة الكلب: من خاف منه هجم عليه، ومن حمل عليه فرّ منه.

---

[١]- رواه مسلم عن النعمان بن بشير مرفوعاً ، انظر مختصر مسلم للمنذري ، ج٢ ص ٢٣٢ كتاب البر والصلة ، باب المؤمنون كرجل واحد في التراحم والتعاطف ، رقم الحديث ١٧٧٤

[٢]- رواه أبو داوود والنسائي عن قيس بن عبادة عن علي بن أبي طالب مرفوعاً ، انظر جمع الفوائد ج٢ ص ٧٢٨ كتاب الحدود باب القصاص في العمد ، رقم الحديث ٥٢٢٩

[٣]- رواه البخاري ومسلم ، انظر كشف الخفاء ، ج٢ ص٢٩١ رقم الحديث ٢٣٠٣

[٤]- رواه مسلم وغيره ، انظر الترغيب والترهيب ج٣ ص٦١٠ كتاب الأدب ، باب الترهيب من احتقار المسلم ، رقم الحديث ١

[٥]- رواه أحمد وأبو داوود والنسائي والترمذي وحسنه ، عن سعيد بن زيد مرفوعاً ، وقال فيه السيوطي ، إنه متواتر ، انظر فيض القدير ج٦ ص١٩٥ رقم الحديث ٨٩١٧

[٦]- رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي عن سويد بن مقرن مرفوعاً ، انظر نفس المصدر ، رقم الحديث ٨٩١٨

[٧]- رواه ابن ماجه والترمذي وصححه ، انظر الترغيب والترهيب ج٢ ص٣٢٠ كتاب الجهاد ، باب الترغيب في الشهادة وفي فضل الشهداء، رقم الحديث ٢٨



ولا عجب في هذا التشبيه، فإن الذي يتخلى عن كلمة الله تعالى، فيكفر بها ويعاندها، ينحدر عن مستوى الإنسانية الرفيع إلى مستوى الحيوانية الوضيع: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧].

والدليل على هذا التشبيه من الناحية العملية: أنه عندما أمر موسى قومه بنزول أرض فلسطين بعد عودتهم من مصر، خافوا محاربة أهلها، لقوة بأسهم، ورفضوا الدخول فيها، فكان جزاؤهم الضياع والتيه في صحراء سيناء أربعين سنة، بسبب مخالفتهم للأمر الإلهي وجبنهم عن مواجهة عدوّهم، كما هو حال العرب والمسلمين في شأن قضاياهم الساخنة في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان، وغيرها في هذه الأيام، حيث خافوا مواجهة عدوّهم، فاقتحم عليهم ديارهم في فلسطين وغيرها من بلاد العالم الإسلامي، وشرّدهم لاجئين في الأرض، كما شرّد قادتهم في بيداء المسرح السياسي العالمي: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [المائدة: ٢٠-٢٥].

فالخوف من مواجهة العدو، والإمتناع عن محاربته، يؤدّي إلى تشجيعه على العدوان وتوسيع دائرته ، فينتشر الظلم بالتالي بين الناس، ويكثر العدوان فيهم على الحرمات .

فيكون الإستسلام للمعتدي بالتالي هو عين الإرهاب، لأنه يشجّعه عليه: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: ٣٩].



وبالتالي فإن الإعداد للجهاد، والدخول فيه عند الحاجة إليه والقدرة عليه ، هو الذي يحقق السلام ويحفظه، حتى يمكن تسميته **بالسلام المسلّح**، ولذلك ندب الله تعالى المسلمين إليه وأمرهم به فقال سبحانه: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. فليس كل إرهاب مرفوض في الشرع والعقل، **فالإرهاب** الذي يردع الظلم والعدوان محمود، **والإرهاب** الذي ينشأ عنه الظلم والعدوان مذموم.

التوكل على الله في مجابهة أعداء الله

ولا ينبغي الخوف من ردة فعل العدو المعتدي، فإنه سيكون في النهاية من الخاسرين إذا تمّت مواجهته بالأخذ بأسباب القوة، المادية العسكرية والمعنوية الإيمانية، كما قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وتتم هذه القوة بوحدة الصف والكلمة، ثم التوكل على الله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ومن أحبه الله تعالى لتوكله عليه كان الله معه، ومن كان الله معه حفظه ونصره، بما يشاء، كيف يشاء، متى يشاء.

فعندما أمر الله تعالى موسى وهارون بالذهاب إلى فرعون المستعلي على الناس بقوته، والمتأله عليهم بسلطانه: ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾ [طه: ٤٥]، فلما حاربهما فرعون، أهلكه الله تعالى هو وجنوده: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وعندما شنّ بعض المشركين حرباً نفسية على المسلمين بعد معركة أحد، التي أصيب المسلمون فيها بخسائر كبيرة، بسبب مخالفة الرماة لأوامر النبي ﷺ لهم بملازمة مواقعهم على سفح جبل أحد، ونشر أولئك المشركون إشاعة بعد انسحابهم من أرض المعركة، بأنهم راجعون إليها ليستأصلوا المسلمين، قرّر النبي ﷺ والمسلمون مواجهتهم بالرغم مما أصابهم في المعركة من قتل وجرح، متوكلين على الله تعالى، فألقى الله الرعب في قلوب المشركين، فتراجعوا مدحورين، فأنزل الله تعالى للاعتبار قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].



وعندما نقضت قريش معاهدة الحديبية وقرر النبي ﷺ غزو بلادها، وتخوّف بعض المسلمين من نتائج ذلك، لأن قريشاً قوة كبرى، أنزل الله تعالى قوله توجيهاً وتعليماً للمسلمين: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٣-١٥].

وقد فتح الصحابة رضي الله عنهم بلاد فارس والروم وأسقطوا نظام حكمهما، مع الفارق الهائل بين تسليح جيوش هؤلاء وجيوش المسلمين، وبين أعداد جنود هؤلاء وأعداد جنود المسلمين .

وفي أيامنا هذه، وبالرغم من الفارق الضخم بين إمكانيات رجال المقاومة والمعتدين، تمكنت المقاومة في العديد من بلاد العالم الإسلامي رغم تفككه، من إنزال ضربات كبيرة في المعتدين، فكيف لو كانت الأمة موحدة الصف والقيادة، ومجندة الطاقات المادية والمعنوية الهائلة، التي تمتلكها كما يقول الخبراء المختصون، إذن لقلبت المعادلة المحلية والدولية السياسية منها والإقتصادية بل والعسكرية بصورة أتمّ وأكمل، ولقذف الله تعالى هيبتها في قلوب أعدائها، كما قال تعالى: ﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا ﴾ [آل عمران: ١٥١]. لتنال النصر الذي وعدها الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾[محمد: ٧-٨].



الفصل الثاني

حقيقة الانتصار في الإسلام، وآدابـــه

مفهوم الانتصار والهزيمة في المنظور الإسلامي

إن معيار النصر والهزيمة في الإسلام، هو مقدار الثبات والتراجع عن العقيدة ، فمن بدّل دينه بسبب الإغراء أو الإيذاء ، فاختار العلمانية مثلاً، بديلاً عن الإيمان والإسلام فهو المنهزم، وإن نال بسبب ذلك التبديل والأموال الوفيرة والمصالح الكثيرة، ومن ثبت على الإيمان بدينه ولم يبدّله فهو المنتصر، وإن اعتُقِل وسُجِن، أو جُرِح وقُتِل، أو شُرِّد وأُهين، بسبب ذلك الثبات، كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [الحج: ١١].

ومن هنا أمر الله تعالى المؤمنين وعلى رأسهم الرسل، بالثبات على الدين والصبر على الأذى، ليفوزوا بالوصول إلى غايتهم التي يطلبونها من النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، فقال الله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الاحقاف: ٣٥]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

فتحمّل الأذى من الكافرين في سبيل الدعوة إلى الإسلام، والصبر عليهم في ذلك، هو من سنة الرسل، وعاقبة هذا التحمل في الدنيا، هي النصر والتمكين، كما أخبر الله تعالى عن قول الرسل لأممهم: ﴿ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ۝١٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝١٤ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾ [إبراهيم: ١٢-١٥]. وقال تعالى في عاقبة المؤمنين الصابرين: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا ﴾ [النور: ٥٥]. وعاقبته في الآخرة جنات النعيم: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، ﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا



يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

النصر للمؤمنين في كل حالٍ وحين:

وبالتالي، فان الانتصار في المعركة بين الإيمان والكفر، مادية عسكرية كانت، أو معنوية فكرية، هو دائماً للأنبياء وللمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ [غافر: ٥١]،﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]، فالأنبياء جميعاً قد انتصروا إذن على أعدائهم، مع أنه قد تم سجن بعضهم وقتل بعضهم الآخر، وتكذيب بعضهم الثالث، وتحقير شأنهم جميعاً على أيدي أعدائهم، كما قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال أيضاً: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣].

وبالتالي فإن محمداً ﷺ كان **هو المنتصر** على المشركين وهو يتعرّض للتكذيب والاتهامات الباطلة بالسحر والجنون، من زعماء قريش، **وهو المنتصر** عليهم وهو مطارد منهم حين ترك مكة واستخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بيته، ونام على فراشه أثناء محاصرة رجال المشركين لمنزله ليلة الهجرة، **وهو المنتصر** على المشركين وهو في غار ثور أثناء هجرته جنوب ضواحي مكة، **وهو المنتصر** عليهم وهو جريح في معركة أحد، **وهو المنتصر** عليهم وهو محاصر في المدينة المنورة بعشرة آلاف مقاتل في معركة الخندق، تسعى هذه الألوف إلى استئصاله منها مع المؤمنين فيها ، بمساعدة اليهود، **وهو المنتصر** عليهم عندما عاد إلى مكة وفتحها في السنة الثامنة للهجرة وأسقط دولة الشرك فيها، وعفا عند ذلك عن خصومه وسامح أعداءه عما كانوا قد آذوه فيها، لأنه إنما جاءهم بهذا الدين لتحقيق الخير لهم به في الدنيا والآخرة: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَـٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠]، ولكنهم لم يكونوا يدركون ذلك، بسبب ما كان على قلوبهم من غشاوة ناشئة عن الكبر والقوة والخوف على المصالح المادية والوجاهية، وحين فقدوا بفتح مكة القوة والسلطة، زالت تلك الغشاوة عن قلوبهم ، فعرفوا الحقيقة ودخلوا في دين الله تعالى وافرين: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر: ١-٣].



كما أن أصحاب النبي ﷺ كانوا **هم المنتصرين** وهم تحت التعذيب في سجون قريش ومعتقلاتها، **وهم المنتصرون** وهم تحت الحصار الذي فرضه عليهم زعماء المشركين في شعب بني عامر بمكة المكرمة، **وهم المنتصرون** وهم مضطهدون مشردون من ديارهم التي أخرجهم منها زعماء قريش بمكة حين الهجرة، **وهم المنتصرون** وهم مصابون بالقتل والجرح والأذى في المعارك التي دارت بينهم وبين المشركين في بدر وأحد والخندق وسواها، **وهم المنتصرون** وهم الذين أعدمت قريش العشرات من حفظة القرآن فيهم بعد الهجرة بالغدر والخيانة، **وهم المنتصرون** حين لم يتورّع زعماء قريش عن الإضرار بهم في كل مكان وحين، تحت شعار: "هؤلاء الذين سبوا آلهتنا وسفهوا أحلامنا وفرقوا جماعتنا"، **وهم المنتصرون** وهم الذين فتحوا مع رسول الله ﷺ جزيرة العرب ، ثم فتحوا الأرض شرقاً وغرباً، وأسقطوا دولتي الفرس والروم وسواهما، وأوصلوا دين الله تعالى إلى عباد الله عز وجل في مشارق الأرض ومغاربها.

والسبب في وصف أنبياء الله تعالى والمؤمنين بهم بالنصر في الدنيا مع كل ما تعرّضوا له من الأذى والضرر والاضطهاد، هو أنهم ثبتوا على دينهم ولم يبدّلوه ولم يغيّروه ولم يتنازلوا عنه ، بالرغم من كل ما نزل بهم، كما قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

رعاية آداب الجهاد الإسلامي انتصارٌ على الخصم في المفهوم القرآني:

وهناك آداب يجب على المجاهد أن يراعيها، ليكون جهاده في سبيل الله تعالى، فيكون له أجر المجاهدين والشهداء عند الله تعالى: فلا يجوز قتل النساء والأطفال والشيوخ ممن لا علاقة لهم بالقتال والمساعدة فيه من حيث الأصل، ولا يجوز الغدر ولا تعذيب الأسرى ولا انتهاك حرمة إنسانيتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الإنسان: ٨، ٩]. ولا يجوز التمثيل بجثث القتلى، ولا يجوز تدمير الممتلكات وإتلاف الزروع وقتل الحيوان إلا لمأكلة، ما لم تقتض ضرورة المعركة مع العدو غير ذلك، كما كان النبي ﷺ يقول للجيوش وقادتها إذا أرسلهم للجهاد: "**اغزوا بسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلّوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً**" [1] وفي رواية:"**انطلقوا بسم الله، ولا تقتلوا شيخا فانياً، ولا امرأة، ولا تغلّوا، وضمّوا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا، إن الله**

[1]- رواه مسلم وأبو داوود والنسائي، انظر جمع الفوائد ج ٢ ص ٢١ كتاب الجهاد، باب أحكام وأسباب تتعلق بالجهاد ، رقم الحديث ٦١٧٤



يحب المحسنين" [1]، وكذلك كان يفعل خلفاء الأمة مع جيوشهم اتباعاً لهدي النبي ﷺ، حتى ضربوا أروع الأمثال في المروءة والسماحة مع الشجاعة والإقدام.

ومن لم يراعِ هذه الآداب الإسلامية في الجهاد، فإنه يكون مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة نفسه، وليس مجاهداً في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وبالتالي فهو مهزوم وإن تغلّب على خصمه، فقد قال ﷺ **"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"** [2]، وقال أيضاً: **"ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"** [3].

القتال في الإسلام عملية جراحية اضطرارية، ذات طابع انساني:

عندما شرع الله تعالى للمسلمين القتال، إنما شرعه من أجل رفع الظلم ورد العدوان، ليعود العدل والأمان إلى الناس، فلا يجوز اللجوء إليه إلا في حال الضرورة، كما لا يلجأ الطبيب إلى إجراء العملية الجراحية في المريض إلا عند الضرورة، حين يكون لابد منها، ولا يقوم غيرها مكانها، وحين يجريها لا يتجاوز فيها قدر الحاجة، لأن الأصل في الحرب أنها حرام لما فيها من قتل النفوس وإتلاف الأبدان وترويع الناس وإتلاف الأموال وتدمير الممتلكات، ولا يجوز فعل شيء من ذلك إلا في حال الضرورة وبقدر الحاجة: ﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وتنص القاعدة الفقهية على أن: " الضرورة تقدّر بقدرها " [4].

ومن هنا فإن النبي ﷺ عندما فتح مكة قال: **"من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق داره فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن"** [5] وفي رواية: **"ومن ألقى سلاحه فهو آمن"** [6] وعندما تم فتحها قال ﷺ لأهلها الذين كانوا قد حاربوه وظلموه وخافوا مما سيفعله بهم في هذا اليوم **"ما تظنون أني فاعل بكم"**، قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال ﷺ: **" اذهبوا فأنتم الطلقاء"** وعندما سمع سعد بن عبادة رضي الله عنه يقول: اليوم يوم الملحمة، قال ﷺ: **"بل اليوم يوم المرحمة** "وفي رواية **"بل اليوم تعظّم الحرمة"** وانتزع

---

[1]- رواه أبو داوود ، انظر نفس المصدر ، رقم الحديث ٦١٧٥

[2]- رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً ، انظر جمع الفوائد ج٢ ص١٧ كتاب الجهاد ، باب وجوب الجهاد وصدق النية، رقم الحديث ٦١٥٨

[3]- رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ، انظر كشف الخفاء ج٢ ص٢٣٨ رقم الحديث ٢١٤٠ .

[4]- الوجيز في شرح القواعد الفقهية ، للدكتور عبد الكريم زيدان ص٧٣ رقم القاعدة ٢٣ ، المدخل إلى القواعد الفقهية للشيخ أحمد الزرقاء ، ص ١٨٧ رقم القاعدة ٢١

[5]- رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، والزيادة رواها أبو داوود عن أبي هريرة مرفوعاً ، انظر جمع الفوائد ج٢ ص ١٤١ كتاب السير والمغازي ، باب غزو مكة ، رقم الحديث ٦٦٤١ .

[6]- البداية والنهاية ج٤ ص٢٩٥ .



الراية منه وأسندها إلى ابنه قيس بن سعد[1]، لأن النبي ﷺ أراد أن يعلّم الناس بذلك أن المراد من الحرب في الإسلام هو إزالة الظلم وردّ العدوان وليس قتل البشر وإبادة الشعوب.

وقد سار المسلمون بعد رسول الله ﷺ على خطاه في فتوحاتهم مع أهل البلاد التي دخلوها، سواء في بلاد الشام أو العراق، أو في بلاد فارس أو الروم، أو غيرها، حيث كانوا يعاملون أهل البلاد المفتوحة بالحسنى، مهما استعصت عليهم ومهما تكبدوا في الحرب عند فتحها من خسائر، فما كانوا يقتلون الأطفال ولا النساء ولا الشيوخ، ولا من يستسلم من المقاتلين، وكانت سيرتهم مع أهل البلاد أطيب من رائحة الورد والرياحين، كما اعترف بذلك العديد من منصفي المؤرخين من غير المسلمين .

وأشهر مثالين على ذلك:

المثال الأول: عندما فتح صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ واسترجعه من أيدي الصليبيين الذين فعلوا عند احتلاله من الأفاعيل الإجرامية والأعمال الوحشية ما يندى له جبين البشرية، عاملهم بمقتضى أخلاق الإسلام وشرائعه، فدخلها حامداً لله تعالى شاكراً لأنعمه، يوصي جيشه بحسن المعاملة مع من فيها.

فقد كان في القدس مئة ألف من الغربيين النصارى، ففتح لهم المجال لمغادرة القدس في غضون أربعين يوماً، في مقابل فدية مالية قليلة، أسقطها عمن لا يقدر على دفعها منهم، وأرسل معهم من يحميهم في الطريق إلى المدينة التي أرادوا الوصول إليها.

وعندما جاءه نساء النصارى، يشتكين إليه قتلاهنّ من الرجال وأسراهنّ، أمر بفك الأسرى وإطلاق سراحهم، وأعطى لزوجات القتلى مبالغ مالية على جهة المواساة، ففوجئ الصليبيون بهذه المعاملة، وجهروا بالثناء عليه[2].

وعندما مرض قائد القوات الصليبية[3] ريتشارد قلب الأسد، أرسل إليه صلاح الدين طبيبه الخاص، فعالجه مصحوباً بالهدايا، كما هو معلوم عندهم[4].

المثال الثاني: وعندما فتح السلطان العثماني الشاب محمد الفاتح مدينة القسطنطينية عاصمة الكنيسة الشرقية سنة ٨٥٧هـ وسيطر عليها، بادر إلى من لجأ منهم إلى كنيسة أياصوفيا، وأعطاهم الأمان، وفرض لهم الحماية على أموالهم وأعراضهم ودمائهم، وأعلن عن الأمان لكل من يرغب في

---

[1]- نفس المصدر .

[2]- انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٩ ص ١٨٣ وما بعدها . البداية والنهاية لابن كثير ج١٢ ص٣٢٣ . من روائع حضارتنا للسباعي ص ١٠٠ .

[3]- وثمة فرق بين الصليبية والمسيحية، فالصليبية وصف يطلق على المحاربي للمسلمين من النصارى ، والمسيحية وصف يطلق على المسالمين منهم .

[4]- انظر من روائع حضارتنا ص٨٠



البقاء منهم في المدينة مع بقائهم على دينهم وحيازتهم لأموالهم، وترك لهم تنظيم شؤون حياتهم الدينية والكنسية بما يرونه، وعندما انتخبوا لأنفسهم بطريركاً جديداً، أقام له السلطان احتفالاً وأبهة، وأرسل له ثلة من حرسه الخاص الذي كان يسمى بالإنكشارية، واستعاد لهم كل ما فقدوه من نفائس مقتنياتهم وتحفهم من أيدي الناس، مع أنه دخلها بالقوة بدون عهد أمان ولا عقد حماية[1].

والتاريخ الإسلامي في مختلف مراحله قديماً وحديثاً، شاهد صدق على مثل هذه المعاملة الحسنة التي تعامل بها المسلمون مع الآخرين في الحرب، مما اعترف به العدو وأشاد به الصديق على سواء، وأعظم دليل على تسامح المسلمين مع غيرهم، هو بقاء الأقليات في العالم الإسلامي متمتعين بكل حقوقهم المادية والأدبية منذ فجر التاريخ وحتى اليوم، في حين أن البلاد الإسلامية التي وقعت في أيدي أعداء المسلمين لم يبق فيها للإسلام أثر، ولم يبق فيها للمسلمين وجود، كما حصل في أسبانيا والإتحاد السوفياتي ومناطق في الصين الشيوعية، وأخرى في الهند وغيرها.

القتال عند الآخرين عملية انتقامية عدوانية ، ذات طابع إجرامي غرائزي:

وأما الآخرون من غير المسلمين، فإنهم حين ينتصرون، يمارسون أبشع الجرائم ويرتكبون أقبح الأعمال، حتى وإن فتحوا البلاد بعقد أمان وعهد استسلام بسبب فساد تصوراتهم الإيمانية، وشدة أحقادهم المصطنعة بما يتلقونه في زمن السلم من قادتهم السياسيين والدينيين من توجيهات تحمل في طياتها بذور الكراهية وجذور الحقد، وإن غلفوها في بعض الأحيان بشعارات المحبة ومسوح الإنسانية، التي سرعان ما تزول أمام غريزة الإنتقام عند القدرة عليه، لتعطي هذه التوجيهات ثمارها في الحرب، فتأتي على هيأة أعمال انتقامية عدوانية ذات طابع إجرامي، خاضع لغرائزهم البهيمية، لتنفيس الإحتقان من القلوب، وتفريغ السموم من الأبدان، بعيداً عن التوجيهات الربانية.

وأشهر مثالين على ذلك:

المثال الأول: عندما حاصر الصليبيون مدينة معرة النعمان بالشام سنة ٤٨١هـ واضطر أهلها للاستسلام، وتم الاتفاق مع الصليبيين على سلامة الأرواح والأعراض، وأخذوا على ذلك العهود المؤكدة[2]، ما أن دخلها الصليبيون، حتى راحوا ينتهكون الحرمات، فيعتدون على الأعراض ويريقون الدماء ويدمّرون الممتلكات، وقد قتلوا من أهلها أكثر من مئة ألف شخص[3] .

[1]- انظر نفس المصدر ص ١٠١

[2]- انظر نفس المصدر ص٩٩

[3]- انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٨ ص١٨٧



وعندما حاصر الصليبيون بيت المقدس سنة ٤٩٢هـ ولجأ أهلها إلى المسجد الأقصى ورفعوا الراية البيضاء في إشارة إلى الاستسلام، واتفقوا مع الصليبيين على حفظ دمائهم وأعراضهم ، وقبل الصليبيون منهم ذلك[١]، وما أن تم فتح أبواب المسجد الأقصى بعد ذلك، حتى فاجأوا الناس فيها بالسيوف تعمل في رقاب حتى المدنيين كباراً وصغاراً، رجالاً ونساء، حتى ذبحوا فيه أكثر من سبعين ألف إنسان[٢] .

وقد مارس اليهود أيضاً مثل هذه الأعمال الإجرامية ضد المسلمين منذ أن قامت لهم دولة في فلسطين سنة ١٩٤٨م متجاوزين بذلك حتى قساوة تعاليم توراتهم المحرّفة التي تقول "حين تقرب من مدينة لكي تحاربها، استدعها إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تسالمك، بل عملت معك حرباً فحاربها، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها ، فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك، التي أعطاك الرب إلهك"[٣].

فقد ارتكب اليهود مذابح كثيرة ضد المسلمين المدنيين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، في دير ياسين وعين البقر والقدس والخليل وجنين والضفة الغربية وقطاع غزة بفلسطين، وقد قتلوا إبان الإنتفاضة وحدها حتى الآن وجرحوا عشرات الآلاف من المدنيين رجالاً ونساءً وأطفالاً، وفي سيناء مصر إبان حرب يونيو سنة ١٩٦٧م وحرب رمضان سنة ١٩٧٣م قتلوا كثيراً من المدنيين أيضا، وقطعوا أصابع أطفال كثيرين وأطلقوا الرصاص على أيدي آخرين فيما تناقلته وسائل الإعلام في حينها، لمنعهم من استخدام السلاح ضد اليهود حين يكبرون، وفي لبنان قتلوا المدنيين أيضاً في صبرا وشاتيلا سنة ١٩٨٢م بالتعاون مع عملائهم المحليين، بالرغم من دخول هؤلاء اليهود إلى بيروت باتفاقية ومفاوضات ، وقصفوا المدنيين أيضاً بالطائرات في قانا بالجنوب سنة ١٩٩٦م ، بالرغم من لجوئهم إلى مراكز تابعة للأمم المتحدة .

المثال الثاني:

عندما غزا التتار بلاد العالم الإسلامي سنة ٦٥٦ هـ بمعاونة بعض العملاء فيها، وعلى رأسهم ابن العلقمي، أقاموا مذابح رهيبة للمسلمين في كل بلد وقع تحت سيطرتهم العسكرية، حتى ختموا ذلك بالهجوم على عاصمة الدنيا بغداد في ذلك الحين، بقيادة هولاكو، الذي دخلها بعد معاهدة أمان تم التوصل إليها مع الخليفة العباسي، وألقى معظم الجيش العباسي السلاح بموجبها، وسلّم مواقعه القتالية

---

[١]- انظر من روائع حضارتنا ص٩٩

[٢]- انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٨ ص١٨٩

[٣]- انظر سفر التثنية ، الإصحاح العشرون ، رقم ١٠ ، الكتاب المقدس ص١٨٦ .



للتتار، وما أن دخل هولاكو بغداد بعد ذلك، حتى أطلق سيفه على أهلها، فقتل فيها أكثر من مليون إنسان بمن فيهم الذين وقّعوا معه المعاهدة والخليفة العباسي وأركان دولته من وزراء وقضاة وعلماء ووجهاء ،وغيرهم من خاصة القوم وعليتهم ، حتى اختلطت دماء الضحايا بنهر دجلة وغيّرت من لونه، وصارت جثث القتلى فيها لكثرتها، تلالاً وهضاباً ، فانتشرت رائحة الجيف، حتى أفسدت مناخها، ومات كثير من الناس في مدن أخرى بسببه، وتم تدمير المنازل والقصور والمساجد والمؤسسات والمكتبات والمباني المختلفة ، حتى لم يترك التتار فيها شيئاً صالحاً للسكن أو للاستعمال إلا دمّروه، ولم يتركوا فيها شيئاً ثميناً إلا أخذوه ، حتى تركوا بغداد خراباً يباباً ينعق البوم في زواياها[1] .

وصدق الله العظيم إذ يقول فيهم جميعاً: ﴿ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلاًّ وَلَا ذِمَّةًۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴾ [التوبة: ١٠].

وفي أيامنا هذه، ماذا **صنع الهندوس** بالمسلمين في الحرب التي نشبت بينهم وبين الباكستانيين سنة ١٩٧١م من عمليات إعدام الموجات البشرية من المدنيين والعسكريين على السواء، إضافة إلى انتهاك الأعراض لمن تم أسره من المدنيين بعد دخول مدنهم وقراهم التي استسلمت، حتى ديست أبدان الكثير منهم بالدبابات وهم أحياء، في أعمال وحشية مهولة، وماذا **يصنعون** في كشمير المحتلة من فظائع ضد من يطالب بالإستقلال من أهلها ، منذ ١٩٤٢م وحتى اليوم، وماذا **صنع السوفيات** حين استولوا على السلطة من أجل حكمهم، حيث قتلوا أكثر من خمسة وعشرين مليون إنسان من أهالي البلاد التي ضموها إليهم بالقوة، ولا عجب فقد قال ستالين "إنه على استعداد لإبادة ثلاثة أرباع العالم ليكون الربع الأخير شيوعياً"، وماذا **صنع اليابانيون** في حربهم مع الصين، حيث كانوا يحفرون الخنادق الواسعة والأخاديد العميقة، ثم يرمون فيها الأسرى وهم أحياء مكبّلون، ثم يهيلون عليهم التراب بعد عمليات التعذيب المذهلة، وكذلك **صنع الصينيون** باليابانيين أيضاً، وماذا صنع الأوروبيون في الحرب العالمية الأولى والثانية ضد بعضهم البعض، حيث دمّروا مئات المدن وآلاف القرى، وقتلوا أكثر من ثلاثين مليون إنسان معظمهم مدنيون، وشرّدوا عشرات الملايين من المدنيين أيضاً، ونشروا الرعب في كل مكان، ثم هم يتسابقون في تطوير أسلحتهم النووية والكيماوية والبيولوجية والجرثومية ذات الدمار الشامل، ويهدّد بعضهم بعضاً في ذلك الوقت باستخدامها ، كما حدث مثل ذلك التهديد أيضاً في الحرب الباردة بين الأمريكيين والسوفيات، وماذا **صنع الصرب** في البوسنة والهرسك وكوسوفا ومقدونيا، من عمليات الإعدام والذبح وانتهاك الأعراض والتدمير والتخريب والرعب، وماذا **صنع** في اليابان، التي تم قصفها بقنبلتين نوويتين لمدينتي هيروشيما وناجازاكي، حيث قُتِل فيها

[1]- انظر البداية والنهاية لابن كثير ج١٣ ص٢٠١ وما بعدها .



وأصيب بسببها مئات الآلاف، وتم تدمير المدينتين عن آخرهما، وماذا صنع في فيتنام، التي تم قصفها لأكثر من عشر سنوات بالأسلحة الكيماوية والجرثومية والتقليدية، في حرب إبادة وحشية يندى لها جبين الإنسانية ، ويخجل منها وجه الحضارة، وماذا **صنع** ولا يزالون، في أفغانستان والعراق، اللتين تم قصفهما بقنابل من اليورانيوم المنضّب الذي يصيب ضحاياه بأمراض، ليس أقلها مرض السرطان ، كما يصيب الممتلكات بالدمار الشامل، ويصيب المنطقة التي تقصف به بالخطر البيئي الهائل ، الذي يستمر لمئات السنين، بل آلافها، وماذا **صنع** في سجونهم بمن تم اعتقاله من المسلمين في أفغانستان والعراق وغيرهما، سواء في سجن غوانتنامو بكوبا، أو في سجن أبو غريب ببغداد، أو في سجن قندهار بأفغانستان، مما لايكاد يخطر على بال بشر، من ألوان التعذيب النفسي والبدني وأصنافه، حتى اضطر فيما قيل، خمسة وعشرون منهم إلى الإنتحار، للتخلص من هول ذلك العذاب، وماذا **صنع** في الشيشان ولا يزال، منذ الحرب عليهم سنة ١٩٩٢م وحتى اليوم، وماذا **صنع** وسواهم من المستعمرين في أفغانستان والشيشان وبلاد الشام، في سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، وفي العراق ومصر وليبيا والجزائر والمغرب، وسواها من بلاد العالم الإسلامي وغيره، التي وقعت تحت أيديهم لاسيما بعد سقوط الدولة العثمانية ، مما يخجل المؤرخون من التحدث به ولا يقوى القلم على تسطيره.

ومع ذلك كله ييوصف المسلمون بالظلاميين والرجعيين وبالإرهابيين والمتطرفين.

وقد أحسن من قال في هذا المعنى:

مَلَكْنَـا فكان العفـوُ منا سَجيَّـةً ... فلمّا مَلَكْتُـمْ سَـال بالـدمِ أبطحُ

وما عَجَـبٌ هـذا التفاوتُ بيننا ... فكلُّ إنـاءٍ بالـذي فيـه يَنضَـحُ

الخـــاتـــــمة

بعد هذه النظرة السريعة في هذا البحث المختصر، يتبين للمنصف من الناس مقدار المثالية الواقعية، والواقعية المثالية، التي تأسس عليها دين الإسلام، الذي جاء به محمد ﷺ من عند الله تعالى، ليكون عمدة بناء كيان الفرد الإنساني والجماعة، كي يطهر القلوب من أدران الشرك والتصورات المشوهة حيال القضايا الغيبية، وكي يطهر الجوارح من شرور الهبوط الأخلاقي والانحراف السلوكي ، في حياة الفرد والجماعة ، لتكون الطهارة عنوان الحياة في المجتمع، وكي يصحح مفاهيم النصر والهزيمة في حياة الأمم والشعوب ، ليسعد الإنسان ويطمئن من العدوان، على نفسه أو بدنه أو ماله أو عرضه بغير حق، وهذا هو غاية ما يطمح إليه البشر ويرغب فيه العقلاء.

وبالتالي فإن ما يوصف به الإسلام من الإرهاب أو التطرف لا يحكي الحقيقة ولا يلامس الواقع، وإنما يكشف عما يكنّه الآخرون لهذا الدين من الحقد، وما يكنّونه لأهله من الكراهية، ولكنهم يخفون ذلك بشعارات مزيفة، لا تلبث أن ينكشف زيفها عند مقارنة أقوالهم وأعمالهم، بالمبادئ الإسلامية وتصرفات المسلمين، القديم منها والحديث، فلا ينبغي الاطمئنان لهم ولا الركون إليهم، فقد قال تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

والله ولي التوفيق

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لبنان – طرابلس

١٤٢٧/١٢/٢٢هـ ٢٠٠٧/١/١١م



المـــــراجـــــع

١. **البداية والنهاية:** للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير المتوفي ٧٧٤هـ، دار الفكر، لبنان.

٢. **الترغيب والترهيب:** للحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، المتوفي ٦٥٦هـ ، مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م تحقيق مصطفى محمد عمارة .

٣. **تهذيب سيرة ابن هشام** : للأستاذ عبد السلام هارون، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة العاشرة ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م

٤. **جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد:** للإمام محمد بن محمد بن سليمان المغربي، المتوفي ١٠٩٤هـ، طبع ١٣٨١هـ ١٩٦١م، بتعليق السيد عبد الله هاشم اليماني .

٥. **صحيح البخاري:** للإمام الحافظ المحدث أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، المتوفي ٢٥٦هـ نشر مكتبة الجمهورية العربية بمصر.

٦. **فيض القدير، شرح الجامع الصغير، للسيوطي:** تأليف العلامة عبد الرؤوف المناوي، المتوفى١٠٣١هـ، مطبعة مصطفى محمد بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ ١٩٣٨م، وفي أعلاه كتاب الجامع الصغير للسيوطي .

٧. **الكامل في التاريخ** : للعلامة المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ابن الأثير، المتوفي ٦٣٠هـ ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

٨. **الكتاب المقدس:** كتب العهد القديم والعهد الجديد، طبع جمعيات الكتاب المقدس في الشرق الأدنى، ١٩٧١م ، بيروت .

٩. **كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس** : للمحدث المفسر اسماعيل بن محمد العجلوني، المتوفى ١١٦٢هـ مطبعة الفنون بحلب ، تصحيح وتعليق أحمد القلاشي.

١٠. **مختصر صحيح مسلم للمنذري:** للحافظ الكبير عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري،ت ٦٥٦هـ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

١١. **مفردات ألفاظ القرآن:** للعلامة الراغب الأصفهاني، المتوفى سنة ٥٠٢هـ تحقيق صفوان عدنان داوودي ، طبع الدار الشامية، بيروت، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

١٢. **من روائع حضارتنا:** للدكتور مصطفى السباعي، دار الإرشاد – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٣هـ ١٩٦٨ م .

١٣. **الوجيز في شرح القواعد الفقهية:** للدكتور عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الاولى سنة ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .

